مدونة البيان

تقرير امريكي عن "التحولات في التركيبة" الطائفية والمذهبية والسياسية في الجيش السوري

Posted on 27/04/2011 by مدونة البيان

موقع الحقيقة
10 /04/ 2010
" يشكل وجود ضابط مسيحي على رأس القوات المسلحة السورية تحولا استراتيجيا مهما في بنية النظام السوري وطريقة تفكيره السياسية ، كما في منظور تعاطيه مع الأقليات الدينية التي يتألف منها المجتمع السوري . (…) وهو إلى ذلك ، تعبير عن تحول ميزان القوى في هرم القوات المسلحة لصالح الفئات التي تميل إلى إبرام اتفاقية سلام مع إسرائيل (….) وهي المرة الأولى التي يقف فيها ضابط من الأقلية المسيحية على رأس القوات المسلحة السورية منذ الاستقلال في العام 1946 …" إلخ .

ليس هذا النص جزءا من مقالة لفريد الغادري الذي لا يعرف حتى الآن ما هي ألوان العلم السوري وعناصره (بدليل أنه كان يضع علما سوريا قديما على موقعه حتى وقت قريب !) ؛ ولا مقتطفا من مقال بقلم قيادي " أخواني " معياره الوحيد ، أو شبه الوحيد ، في فهم بنية السلطة هو الحضور العددي لأبناء الطوائف والمذاهب في مؤسسات الدولة كما لو أنه يروز سحارة بطاطا أو خرج كوسا ؛ ولا هو لكاتب سوري عرمرمي أحمق متخصص في تحليل "التكوين العشائري" للضباط العلويين في سوريا ، رغم أنه ـ على طريقة الأحمق الآخر الدبلوماسي الهولندي الدكتور نيكولاس فاندام ـ لا يعرف أن " الخياطين " و "الحدادين" و "القراحلة" ….. ليسوا عشائر بالمعنى السوسيولوجي ، إذ لا روابط دم بينهم ، وإنما هم أتباع "طرق في المقاربة الإيمانية ـ العرفانية" على شاكلة الطرق الإسلامية السنية الصوفية المعروفة (الطريقة الشاذلية والنقشبندية والرفاعية ..

إلخ) .

باختصار ، ومن أول الكلام ، يا سادة يا كرام ، المقطع المقتبس أعلاه جزء من تقرير سري أعدته السفارة الأميركية بدمشق في شباط / فبراير الماضي حول "التحولات التي حصلت في تركيبة الجيش السوري الطائفية والمذهبية" خلال السنوات العشر الأخيرة ، أي منذ رحيل مؤسس النظام الحالي حافظ الأسد . وإذ لم يشر التقرير ، الواقع في 48 صفحة من القطع الكبير ، إلى مؤلفيه الحقيقيين بالاسم ، فإن مصادر "الحقيقة " التي أطلعتها على مقاطع منه في باريس ، ....
بغض النظر عن الطريقة المبتذلة والسخيفة التي يعتمدها التقرير في مقاربة شأن حساس ومعقد جدا مثل الجيش السوري ، وأيا تكن المغالطات والأخطاء الفاحشة والمخجلة في المعلومات التي يوردها (ليس الحديث عن داود راجحة كأول قائد مسيحي للجيش السوري سوى غيض من فيض ، إذ لا علم لمعدي التقرير بوجود ضابط اسمه يوسف شكور ـ قائد الجيش السوري خلال حرب تشرين الأول / أكتوبر 1973 !!) ؛... يبقى مهما ، ومهما جدا ، الاطلاع على أهم ما جاء فيه من "معلومات" و "تحليلات" ، ليس فقط لمعرفة الطريقة التي تنتظر بها واشنطن لجشنا وبلادنا (وهو بالمناسبة ، ولتذكير بعض الأوباش ، جيشنا نحن كمواطنين سوريين وليس جيش النظام الاستبدادي الحاكم الذي يسخره لغايات لم يعدّ لها) ، ولا لإدراك واحد من " أسرار" فشل السياسات الأميركية في المنطقة ، وإنما ـ ولعله الأهم ـ لكي نعرف ونتذكر دوما أن الجيش السوري محط مراقبة استخبارية مستمرة ، ومخترق في أدق مفاصله الحساسة ... إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن التقرير يعتمد (حسب ما يشير) على مصادر "في قيادة الجيش والمخابرات العسكرية والمخابرات العامة "!؟ (هل من المفيد التذكير هنا بما كشفت عنه " الحقيقة " من ملفات تتعلق بالعميد ....، ونشاطاته التجسسية التي لم يكن تسريب خبر صفقة صواريخ باتسنر إلا الجزء الناتىء من جبل جليدها!؟).

يلاحظ من التقرير أنه يركز على المستويات القيادية الثلاثة العليا في التشكيلات الميدانية ، أي قادة الفرق وقادة الألوية وقادة الكتائب في القوات البرية والجوية والبحرية ، فضلا عن مكاتب وإدارات القيادة العامة (المخابرات العسكرية ، المخابرات الجوية ، إدارة شؤون الضباط ، شعبة التنظيم والإدارة ، هيئة التسليح ، هيئة الإمداد والتموين ، مكتب تأمين الجيش ، إدارة الحرب الكيميائية ،إدارة الحرب الإلكترونية ، إدارة المركبات ، مؤسسة معامل الدفاع ، فرع الشيفرة وأمن الوثائق .... إلخ).
على المستوى الأول ، مستوى قادة الفرق ، يزعم التقرير أن لا تغير يذكر على صعيد الانتماء الطائفي والمذهبي لقادة الفرق ، إذ لم يزل يشكل الضباط العلويون 70 بالمئة منهم ، بينما توزعت النسبة الباقية بالتساوي تقريبا على المسلمين السنة والمسلمين الدروز والمسلمين الاسماعيليين والمسيحيين.
لكن التقرير يلاحظ ، في الآن نفسه ، أن الصف الثاني في قيادات الفرق (رؤساء أركان الفرق ، رؤساء عمليات الفرق ، ضباط أمن الفرق ، مسؤولو التخطيط والتدريب فيها ...إلخ) شهد تحولا ملحوظا خلال السنوات العشر الأخيرة ، حيث ازدادت نسبة المسلمين السنة إلى حوالي 55 بالمئة في قيادات الصف الثاني ، بينما توزعت النسبة الباقية على المسيحيين و المسلمين الدروز والمسلمين الاسماعيليين ..إلخ .
أما على المستوى الثاني ، قادة الألوية ، فيشير التقرير إلى أن نسبة المسلمين السنة بينهم ارتفعت من 35 بالمئة في العام 2000 إلى حوالي 48 بالمئة مع صدور لائحة التشكيلات نصف السنوية مطلع هذا العام . (هنا لا بد من ملاحظة أن لائحة التشكيلات والترفيعات التي تصدر كل ستة أشهر تعتبر من أدق أسرار الجيش ، ومع ذلك يلاحظ أن السفارة حصلت عليها " طازة " بعد أسابيع من صدورها!!). ويعزو التقرير هذا التغير إلى عاملين اثنين : أولهما (ولك أن تصدق أو لا تصدق!) توجهات الرئيس السوري الحالي "بتعميق الانفتاح على السنة ، وزواجه ، فضلا عن شقيقه ماهر ، من سيدتين سنيتين" !! والواقع إن المرء لايملك سوى أن يقلب على قفاه من الضحك عندما يقرأ تقريرا "استراتيجيا" يبنى في بعض مفاصله ليس على حكاية زواج فقط ، بل وعلى اعتبار سيدة ولدت وعاشت في بريطانيا ، وتعتبر في مجلات الموضة الغربية "رمزا للأناقة والحداثة"... امرأة "سنية "، مثلها في ذلك مثل ... زينب الغزالي أو بنان الطنطاوي! أما العامل الثاني ، ولعل فيه بعض المنطق فيما لو تأكدت معطياته ، فهو لجوء النظام السوري إلى استراتيجية خاصة في " تركيب " قيادات التشكيلات العسكرية والأمنية تقوم على مبدأ : إذا كان قائد التشكيل مسلما علويا ، فإن رئيس أركانه غالبا

ما يكون سنيا ، بينما يكون ضابط الأمن مسيحيا أو درزيا ، والعكس بالعكس .
أما على المستوى الثالث ، مستوى قادة الكتائب ، فيلاحظ التقرير أن نسبة المسلمين السنة بينهم ارتفعت من 35 بالمئة في العام 2000 إلى أكثر من 65 بالمئة مطلع هذا العام . ويعزو التقرير هذا الأمر إلى ثلاثة عوامل ، أولها : التقلص النسبي في عدد الشباب العلويين الملتحقين بالكليات العسكرية خلال السنوات الأخيرة ، فضلا عن أبناء المذاهب والطوائف الأخرى (غير السنية) ؛ و ثانيهما : التوسع الأفقي للجيش وازدياد عدد التشكيلات العسكرية الوسطى على مستوى لواء وكتيبة بنسبة 150 بالمئة خلال العقد الأخير ؛ و ثالثهما : ارتفاع ملحوظ في نسبة الشباب السنة الملتحقين بالكليات العسكرية خلال العقدين الأخيرين نتيجة لتدهور الوضع الاقتصادي ، لاسيما الزراعي منه ، في المناطق الداخلية وانفتاح النظام على هذه الفئة من المجتمع السوري بشكل أعمق مما كان عليه من قبل ، رغم المد الأصولي الذي يشهده هذا المجتمع .

ما يلحظه التقرير من تغير على مستوى القوات البرية ، لا يراه على مستوى القوات الجوية والبحرية . أو بتعبير آخر ، إنه يلحظه ، ولكن من زاوية أخرى . فعلى مستوى القوى الجوية يلاحظ التقرير ، بحق أحيانا ، أن النظام ظل يواجه دوما معضلة في رفع نسبة الطيارين العلويين في القوى الجوية . إذ إن معظم أبناء هذه الطائفة يقيمون في المناطق الساحلية التي غالبا ما يعاني أبناؤها من مشكلات صحية ناجمة عن المناخ البحري الرطب (كالجيوب الأنفية والحساسية المفرطة في جهاز التنفس ...) . وهي مشكلات تحول إلى حد كبير بينهم وبين أن يكونوا في عداد طواقم سلاح الجو ، وبشكل خاص النفاث منه . ولهذا ـ يتابع التقرير ـ نجد أن معظمهم يجري تحويله إلى الطيران السمتي (الهيليوكبتر) على محدودية حجمه ، أو المجالات الأخرى ، التقنية واللوجستية ، في سلاح الجو ، حيث لا تتطلب خدمتهم القيام بالتحليق الجوي . ويشير التقرير إلى عامل آخر ، وهو الصعوبات التي يواجهها النظام السوري في توسيع و / أو تحديث سلاحه الجوي منذ سقوط الاتحاد السوفييتي ، الأمر الذي أدى إلى بقاء نسبة الطيارين السنة (وفي معظمهم من أبناء المناطق الداخلية الجافة) هي الغالبة إلى حد كبير في صفوف الطيارين الحربيين . لكن النظام استعاض عن ذلك بتعزيز نسبة الضباط (من العلويين وأبناء الطوائف والمذاهب الإسلامية والمسيحية الأخرى) في التشكيلات الجوية الموازية أو المكملة ، ولاسيما المخابرات الجوية و أطقم الملاحين الجويين في المحطات الأرضية ، و المساعدين الفنيين والمدربين الذين ينحصر عملهم في مجال الخدمات الأرضية . ويلاحظ التقرير في ختام هذا القسم أن سلاح الجو " يبقى مصدر التوجس الأساسي للنظام داخليا، إلى حد أن هناك أمرا دائما يعود إلى العام 1984 يمنع بموجبه أي طيار حربي سوري من التحليق فوق العاصمة خلال طلعاته التدريبية" . ويدلل على ذلك بحملة الاعتقالات التي شهدها سلاح الجو ، في أوساط الطيارين والفنيين على السواء ، مطلع التسعينيات الماضية على خلفية اكتشاف تنظيم سري لحزب التحرير الإسلامي في أوساط ضباط هذا السلاح .
أما بالنسبة لسلاح البحرية ، فيرى التقرير أنه ، ورغم تمركز القوى البحرية في " الساحل السوري" ، "العلوي" بقوة أمر التاريخ والجغرافيا ، فإن حضور المسلمين السنة في قيادة تشكيلاته ، سواء منها البحرية الصرفة ، أو الطواقم المكملة لها التي تعمل على اليابسة ، ازداد من 35 بالمئة في العام 2000 إلى 52 بالمئة مطلع هذا العام .
أما على صعيد التشكيلات القيادية ـ الإدارية التابعة للقيادة العامة (الإدارات التابعة لرئاسة الأركان) ، فيلاحظ التقرير أنها شهدت ازديادا في نسبة حضور المسلمين السنة "هو الأعلى منذ مجيء حزب البعث إلى السلطة " في العام 1963 ، فضلا عن أبناء الطائفة المسيحية وأبناء المذاهب الإسلامية الأخرى . وبحسب مصادر معلوماته ، فإن نسبة المسلمين السنة في قيادات الصف الأول لهذه الإدارات ارتفعت من 38 بالمئة في العام 2000 إلى 54 بالمئة في العام 2010 ، وإلى حوالي 58 بالمئة في قيادات الصف الثاني . ويعزو التقرير سبب ذلك إلى مجموعة العوامل المتصلة بـ " انفتاح النظام على المسلمين السنة " و حرصه في الآن نفسه ـ نتيجة توجسه الدائم منهم ـ على إبقائهم في المفاصل التي "لا تستطيع اتخاذ قرارات للقيام بتحرك داخلي ما ، على عكس القيادات في التشكيلات المسلحة ، كفرق وألوية المدرعات " ، حيث يمكن لأي تشكيل مدرع ـ نظريا على الأقل ـ الزحف إلى ساحة الأمويين وإعلان "البيان رقم 1" من دار الإذاعة! وعلى صعيد هذه الأخيرة ، التشكيلات المسلحة ، يلاحظ التقرير ، وليس دون وجاهة ، أن النظام حرص على أن يكون وجود قادة التشكيلات المسلحة المتحركة (فرق أو ألوية أو كتائب مدرعة ومشاة ميكانيكية) في المناطق البعيدة نسبيا عن العاصمة ، كالمناطق الداخلية والخطوط الأمامية في جبهة المواجهة مع إسرائيل " حيث لايمكنهم الوصول إلى العاصمة للقيام بأي تحرك عسكري مناوىء للنظام (...) ، وحيث أنيطت قيادة معظم التشكيلات المتحركة هنا (أي في العاصمة ومحيطها القريب) بأبناء المذاهب الإسلامية الأخرى (علويين ، اسماعيليين ، دروز ..) فضلا عن أبناء الطائفة المسيحية ، وبألوية الحرس الجمهوري على نحو خاص. ولعل واحدة من أبرز الملاحظات التي يسجلها التقرير ، وأكثرها وجاهة ، هو أن المواطنين الأكراد ، وبشكل خاص منهم أبناء المناطق الشمالية الشرقية ، ظلوا الأكثر تهميشا وإقصاء عن قيادات الصف الأول والثاني ، وحتى الثالث ، في التشكيلات العسكرية الميدانية والإدارية على السواء . وحيثما وجد أحد منهم ، على ندرتهم ، غالبا ما يكون من أبناء المدن الكبرى "حيث اندمج الأكراد في وسطهم العربي واستعربوا إلى حد كبير على مدار عقود " ، وفق تعبير التقرير.
ويخلص التقرير ـ الدراسة ، في حدود ما أمكننا الإطلاع عليه ، إلى أحد استنتاجاته الأكثر سخافة وابتذالا ، بل وربما الأكثر إهانة لأبناء الطائفة المسيحية ، فضلا عن أبناء المسلمين السنة. حيث يرى أن ازدياد نسبة المسلمين السنة والمسيحيين في الصف الأول والثاني لقيادات الجيش وتشكيلاته ، المسلحة منها والإدارية ، يعبر "عن ازدياد الميل نحو السلام مع إسرائيل ، إذ إن المسلمين السنة في سوريا ، ورغم المد الأصولي في المنطقة وعدائه لإسرائيل والولايات المتحدة ، ارتبطوا تاريخيا بمعسكر الاعتدال العربي ، لاسيما السعودية . أما المسيحيون فهم تاريخيا عناصر مسالمة لا تربطها روابط قوية بالشعارات والبرامج الوطنية والقومية التي يتبناها النظام في مواجهة إسرائيل والولايات المتحدة "!؟ والواقع لم يبق للتقرير أن يقول ، والحال كذلك ، سوى أن المسلمين السنة في سورية ، فضلا عن المسيحيين ، مجرد "مشاريع جواسيس" أو ، في أفضل الحالات ، " ذوو انتماء وطني ضعيف ومشكوك في أمره"!!!؟

(*) ـ شارك في ترجمة وإعداد مواد هذا التقرير العقيد الركن المتقاعد حسين كردي ، محرر الشؤون العسكرية في " الحقيقة".

Filed under: شهادات ووثائق |
« الحرب الصليبية ضد بناة الخلافة دلالات ومعان الأمة تستعيد سلطانها »

رد واحد

ورقة, on 27/04/2011 at 12:29 مساءً said:
لا شأن للتكتل الذي يعمل لانهاض المسلمين بالطائفية

التكتل يعرض ما يتبنّاه من افكار في العقيدة والفقه على اهل المنعة، فان قبلوها وصارت افكار لهم، طلب منهم النصرة، والا فلا

وهذا الاسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم انما جاء به لكل الناس، نعرضه على الاحمر والاسود من الناس، وكلّهم يدخلون الجنة الا من أبى، فمن اطاع الله ورسوله دخل الجنة، ومن عصاهما فقد أبى

رد